# التكلس والنمطية في اللغة
## -المفاهيم والأطر المرجعية-

د /الجمعي بولعراس
جامعة الملك سعود – الرياض

**تمهيد:**

تظهر الخاصية الأساسية للفرد الإنساني من خلال العبارة والتواصل اللفظي، ومن خلالهما يتسلح الإنسان بهما لإيصال أفكاره وعواطفه ومشاعره وأحاسيسه وانطباعاته من خلال البنى اللغوية، فيتمثل العالم بفضل هذه الفعاليات اللغوية و البنى اللسانية ، والتي تتنوع حسب الاستعمالات والسياقات. بعض هذه البنى تتخصص وتحيل على تمثلاتها من حيث أن دلالاتها لا تتعلق دائما بالاستعمال العادي للسان مثل العبارات المتكلسة و النمطيات .

إن هذه الوحدات المتعددة المعجم التي تُسمى عادة بالعبارات الاصطلاحية تُحظى بعناية كبرى، فقد تكون وسيلة تسمح للمتكلم بالإفصاح عن ما يفكر به تحديدا ، مع ما يصحبها من غموض دلالي وبعد ثقافي واستعاري، فهي فضلا عن كونها إبداعات بلاغية فهي تستحضر الحدود الثقافية بين اللغات والدلائل اللسانية على شكل تنظيم الشعوب لخبرتها عن العالم.

في الواقع " إن الإنسان يولد ويعيش ويموت ويمشي ويأكل ويسكن في المدينة أو الريف، فهو يعيش في منزل مع والديه وزملائه وحيوانات الأليفة...وغير ذلك، فهذا الواقع ينعكس في الكلمات التي يعبر بها[...]وكذلك الرأس والذراعان والأنف والبحر والجبل والكلب والقط وغيرها هي مصدر الآلاف من العبارات "[1].

ومن جهة أخرى فالإنسان يُجزئ العالم وميادينه بمنظوره الخاص في تمثيلات كما تبدو له ، أو بحكم علاقته بكيانه ومحيطه. إن هذا التمثيل يشكّل عنصرا وسيطا بينه

وبين أشياء موجودة في العالم المجسّد في اللغة، ومن ثمة أن: الميترو يملكه الفم والكرسي الظهر والأريكة للذراعين والمسمار للرأس والمنشار للأسنان.

تجدر الإشارة بالذكر إلى أننا استبعدنا الحد الذي تكون فيه اللغات معادة البلورة لمختلف الاعتقادات السوسيوثقافية نفسها والتي تدور رحاها في موضوعات العالم.

كما إننا سنلمّح إلى الإجابة مفهوميا عن : إلى من يرجع الفضل في نشوء العبارة الاصطلاحية الخاصة؟ وبالعكس هل تستطيع هذه التناقضات الموجودة في العبارة أن تكون مختلفة عن مصدرها جملة وتفصيلا؟

ومن ثمة انتهجنا الجانب التحليلي الواصف لجملة من التعريفات والأطر المرجعية للمفاهيم اللسانية للتكلس(*le figement*) والأشكال المتكلسة (*les formes figées*) . وأردفناها بتحليل الأبعاد السوسيوثقافية التي تصحب النمطيات (*les stéréotypées*) داخل اللسان عامة والعبارات الاصطلاحية خاصة.

## أولا: التكلس والأشكال المتكلسة:

### 1- التكلس:

**1-1- تعريف**: وهو التحام- في الاستعمال- وحدتين معجميتين أو أكثر من أجل تشكيل وحدة جديدة أكبر أو أقل معجميا، ومن حيث الخلفية الدلالية التي تميزها آنيا وتاريخيا فإن التكلس يحدد من جهة المعالجة الثابتة التي تقود عبر الزمن إلى العبارة المتكلسة المحفوظة في أي لسان، ومن جهة أخرى فإن نتيجة هذه المعالجة بمراعاة مجموعة الأولويات المتتالية الثابتة نطلق عليها اسم العبارات أو التعبيرات( الاصطلاحية – المستعجمة – المتعددة المعجم- المتجمَّلة...).

إن اللسانيين يختلفون في الوصف الدقيق لمحتوى هذه المفاهيم في هذا الميدان، فالبعض منهم ناقش مسألة مرجعيات هذه المفاهيم في علاقتها مع الانشغالات العلمية، والآخرون أنشئوا مراجع جديدة وناقشوا هذه المفاهيم بأنماطها التعريفية الجديدة. ومن جهتنا فإننا نضيف الأفق العلمي الذي نتبناه، ولأجل دقة منهجية فإننا نتبنى تعريف المعجم اللساني لـ*Jean Dubois*(2001) الذي يقول فيه إن:" التكلس معالجة أية

مجموعة من الكلمات التي تكون عناصرها حرة وتصبح في العبارة في شكل عناصر غير قابلة للانفصال، كما إن التكلس يُعرف بفقدان المعنى الخاص للعناصر المؤلفة لمجموعة الكلمات، والتي تظهر كوحدة معجمية جديدة ومستقلة ولها معنى تام ومستقل عن هذه المركبات، فيمكن مثلا أن نستبدل بطاطا أو بازيلاء بجزرة أو لفت"[2].

**1-2- معايير التكلس:**

على العكس من المتتاليات التي يطلق عليها المتتاليات الحرة ، فإن المتتاليات المتكلسة تختص بعدم إمكانية التغيير بنويا وشكليا.

هذا الشكل غير القابل للتغيير والتنويع هو نتيجة تعلق القواعد العملية للتركيب الحر بـ:

1-عدم إمكانية تغيير رتب الكلمات، مثل:"جيب بنتالون" فهذا العبارة تعطينا بتغيير رتب الكلمات المكونة لها معنا غير مطابق لمكونات الكلمات.

2-عدم إمكانية تعويض إحدى العناصر المكونة للمتتالية بمرادف.

3-استحالة ترجمتها مورفولوجيا وتصريفيا.

4-القطعة المتكلسة لا تقبل أبدا التنويعات العددية(جمع- إفراد) لمكوناتها، حتى وإن استبدلناهم، فإن المعنى بهذا الشكل وبهذا الاستعمال يبقى متقاربا.

5-يكون تعالق الاستخدام تحويليا.

6-القطعة المتكلسة لا تقبل استخلاصا من إحدى مكوناتها، مثل:

- الوصل
- التموضع(*le topicalisation*).
- البناء للمجهول.
- الإظهار وسط التلازم( هذا ...الذي).

هناك معايير أخرى أقل دقة قد تصدق أو لا تصدق على المتتاليات هذه، حسب درجة التكلس في العبارة المستحضرة وصلابة التكلس الذي يختلف من صنف لآخر، ومثاله الملفوظات الجملية(شعار، قول، مثَل...) التي لا تقبل أي شكل من التغيير، ومنه فإن هذه الأنواع تُمنح صفة التكلس التام للسلسلة.

كما أن العبارات التي يكون لها مقدار من التصلب أقل أهمية من المتتاليات السابقة، وهي في الغالب غير مطاوعة وغير قابلة لمعايير التكلس التالية:

- قاعدة اللاتحديث: فالعبارة تستحضر غالبا دون تعريف.
- قاعدة اللإدراج مثلا إدراج الوصف( جدّ، قليلة...).
- تخضع لبعض قواعد التحويل.

ومن المهم أن نذكر أن بعض المتتاليات المتكلسة تحوي عنصرا قديما آت من حالات مختلفة للسان، وهذه البقايا اللسانية يمكن أن تكون من طبيعة: معجمية- صرفية- تركيبية(كترتيب الكلمات في الجملة- والإنشاءات الإضمارية- وعدم إدراج الحدود).

**1-3- الوظيفة الدلالية للسلسلة المتكلسة:**

إن تصنيف المتتاليات المتكلسة يمكن أن يكون وفق وجهة نظر دلالية، أي حسب الغموض الدلالي الذي يكتنفها.

- فالسلاسل التي يطلق عليها السلاسل الشفافة في الدلالة الحرفية أو التركيبية، فإن دلالتها تكون في الحالة الأولى آتية فقط من النتيجة الإجمالية الدلالية للعناصر المكونة للسلسلة.
- السلاسل الشفافة لها دلالة تركيبية من حيث إن المعنى في الأساس استعاري، وهذا النوع يؤلف المجموع المهم لكافة الأصناف، ومثاله العبارات النحوية والتعبيرات المنمطة والمجمّلة (*phraséologique*).
- السلاسل التي يطلق عليها غير الشفافة هي التي لا تُستخلص دلالتها من المجموع الدلالي لمكوناتها المعجمية.

**2- تصنيف الأشكال المتكلسة:**

يصعب تصنيف الأشكال المتكلسة للأسباب التالية:"[...] من جهة أن التطور التاريخي للعبارة- في الحقيقة- يكون غالبا متأثرا بالعناصر التي لا يمكن التنبؤ بها ونتيجة غير متوقعة، ومن جهة أخرى فإنه يسود دائما قدر كبير من الخلط الاصطلاحي

في ميدان التجمل (*phraséologie*) والذي يعود بصعوبة التصنيف على وجه الخصوص"[3].

### 2-1- العبارات النحوية:

تؤلف الوحدات المعجمية المعقدة مجموعة من الكلمات التابعة لصنف نحوي مميز جدا، وأهمها: العبارات الاسمية[4] (المعروفة عادة بالأسماء المركبة) والعبارات اللفظية والوصفية والظرفية والجارة (شبه الجملة) والرابطة.

### 2-2- العبارات المنمطة:

على عكس العبارات النحوية لا تكون العبارات المنمطة وحدات معجمية معقدة، وإنما تكون الأنماط (المتتاليات)- التي كانت في الإنتاجات الفردية حرّة التأليف- مثبّتة من طريق الاستعمال في الخطاب ومحافظة على أشكالها البدائية، وفي هذه الحالة يطلق عليها النمطيات " لأنها تحافظ على كل علامات الخطاب من : حدود اسمية منتظمة وأشكال صرفية وتراكيب مطابقة للقواعد الصارمة لحظة التكلس، وهذا ما يفسر الأشكال القديمة التي تكون مستقرة على حالة قديمة جدا للسان"[5].

هذه العبارات يمكن أن تقسم بدورها إلى ثلاثة أصناف كبرى وهي: عبارات تركيبية تعبيرية، عبارات اصطلاحية، ملفوظات نمطية.

### 2-2-1- العبارات التركيبية التعبيرية:

يمكن أن نقسمها إلى :

- تعبيرات لها معنى حرفي.
- تعبيرات لها معنى استعاري.
- تعبيرات تلميحية: ذات الأصل المرتبط بالكتاب المقدّس، أو ذات الأصل الأسطوري أو التاريخي، أو الأدبي الفني.

إن استعمال هذا النوع من التعبيرات الاستعارية في الخطاب يتطلب معرفة تامة بأصلها وتفاصيل مضربها والتي تفترض أن يعلمها المتكلم والمخاطب على السواء، مثل: المثل العربي: أكرم من حاتم الطائي.

- الابتذال: *(le cliché)*: يعرفه *Charllotte Schapira* (1999) بأنه:" قطعة خطابية تكون على صورة أسلوبية ( وتكون على شكل مقارنة أو استعارة عموما) أو منحى بلاغي ( وتكون غالبا تشبيها)، وتضرب تقريبا على وجه الاحتمال لتعليل تردد كبير للاستعمال في الخطاب، وعلى العكس، فهي تكون تحديدا على وجهها الأصلي الأول ذي الأصل السطحي للعبارة أي بتكرار دون تقطع، وبطول الوقت تكون الصورة مستعملة، وقيمتها الأسلوبية تضعف أو تُفقد كليّا".[6]

**2-2-2- العبارات الاصطلاحية *(les expressions idiomatiques)* أو الاصطلاحوية *(idiotismes)* :**

خلقت ظاهرة الاصطلاحوية أهمية كبيرة معتبرة في وسط الباحثين لضروريات آنية ومحددة:...فالتطبيقات المعاصرة للسانيات( من إعداد المناهج السمعية البصرية إلى ظهور تقنيات جديدة في تعليم اللغات الحية والبحوث الحديثة في ميدان الترجمة الآلية..وغيرها) تعيد طرح تقابلات الأنظمة اللسانية المختلفة، وتطرح على اللسانيات تساؤلات لا تستطيع في الغالب الرد عليها"[7].

ومن ثمة فاللسانيون لإشكالات محددة لا يتفقون عل تعريف للاصطلاحوية انطلاقا من الجدل الحاصل في هذا القسم التجملي *(phraséologique)* الهام.

سنستحضر فيما يلي المحاور الكبرى التي يرتكز عليها تعريف العبارات الاصطلاحية.

يربط الباحثون – لاعتبارات مثل الاصطلاحوية – العبارات التركيبية المتكلسة التي لا يستخلص منها المعنى من جملة مركباتها بمعنى المتتالية المتكلسة غير التأليفية، والعبارة الاصطلاحية أو الاصطلاحوية بدلالتها القديمة.

هذه المعايير المختلفة التي تُعرف بها الاصطلاحوية هي صالحة على اللسان الأحادي.

إن تعريف الاصطلاحوية في البحوث التقابلية يثبت أن أغلبها يمس بهذه الطريقة أصناف أخرى"...فالاصطلاحوية هي اصطلاحية لكل ما هو خاص بلسان ما"[8].

فالعبارات الاصطلاحية الفرنسية تُسمى (*Gallicismes*) والإنجليزية (*Anglicismes*) والعربية (العربوية) إذا صح ذلك.

وعلى غرار ما استشهدنا به، فتعريف *Greimas* يوسّع مجال الاصطلاحوية اعتباريا، فلو كان ما يخص أي لسان اصطلاحي بطغيان العبارات الاصطلاحية على نحو قديم ، فإننا نضيف في هذه الحالة:

- يصبح ترتيب الكلمات واختياراتها يتقاسم أيضا هوية الاصطلاحوية ولو في هذه الحالة التي يكون فيها المعنى شفافا وتأليفيا.
- تدخل كل عبارات النمطية التي تستجيب لهذا المعيار التأليفي آليا في صنف الاصطلاحويات.

هناك أيضا نقطة مهمة تثير تداخل تعريف الاصطلاحوية بغيرها، وهي ما يخص المعيار التعريفي في الترجمة التي تتناقل العبارة نفسها والتي لا توازيها في اللغات الأخرى أية مكافئات.

وفي هذا المستوى من التحليل يمكن لعامل وحيد أن يتدخل في التمييز بين التعريف الضيّق للاصطلاحوية وتعريفها الواسع وهو نحوية العبارة (*Grammaticalité*) وسياقاتها التواصلية، وهنا نذكر بان العبارات الشفافة بمعنى تأليفي هي القابلة للفهم لو ترجمناها.

وختاما نقول أن:

- مقابلة اللغات حينما تخضع للترجمة هي معيار أساسي لفحص الاصطلاحوية.
- التعبيرات المطابقة يمكن أن نجدها في العديد من الألسن.
- يمكن أن تكون الترجمة الحرفية للعبارة المتكلسة تركيبا وشفافية في لسانها الخاص غير صحيحة لكن يبقى المعنى مفهوما جملة.
- التعبيرات المتكلسة دلاليا وتكون غير شفافة ولها معنى غير مركب لا تقبل ترجمة حرفية، فهي لا تكون فقط غير مفهومة بل تبدو غريبة.

وبعد هذه المناقشة المطوّلة حول المعايير التعريفية لمفهوم الاصطلاحوية والتعبيرات الاصطلاحية نستخلص الآتي:

1- التعبيرات الاصطلاحية هي تعبيرات متكلسة غير شفافة دلاليا، ومنه يكون المعنى غير مركب، ومثاله في العامية الجزائرية( كلاه قلبو).

2- التعبيرات الاصطلاحية لا تكون مفهومة للوهلة الأولى.

3- التعبيرات الاصطلاحية تترجم إلى لغة أجنبية بتعبير معادل.

**3- التوظيف الدلالي للعبارة الاصطلاحية:**

العبارة الاصطلاحية هي نمط كلامي و بالمعنى الضيق يمكن أن نعرفها كعبارة مؤلفة من إتحاد كلمات كثيرة مشكلة وحدة تركيبية ومعجمية"[9].

وهكذا كما يعرف *(Pierre Guiraud)* (1973) العبارة الاصطلاحية بأنها وحدة معجمية وتركيبية فإنه يركز على دلالتها غير الشفافة، أو قل إن معنى هذه الوحدات لا يكترث بما تعنيه معاني مركباتها على حدى، مثلما هو موجود في حالة الوحدات الحرة في السلسلة الكلامية.

في الواقع تكون الاصطلاحويات غير مفهومة للوهلة الأولى لدى متعلمي اللغة الأجنبية، وبالنسبة كذلك لأبناء اللغة، وبهذا تصبح التعبيرات الاصطلاحية علاقة لسانية غير مثيرة والتي تكون مطلوبة، وعلى غرار ذلك فالتسجيل الذاكري لمثل هذه التعبيرات يكون شبيها بالوحدات المعجمية الأخرى غير المثيرة لحظة التعلم اللغوي للسان ما.

ومع ذلك يجب الإشارة إلى أن كل العبارات الاصطلاحية هي من أصل مثير، أو قل إنها تستند على المقارنات والاستعارات والصور والكنايات والمجاز المرسل أو الكليشيهات مع أن بعضها يفقد معناه الأول كليّا، والبعض الآخر يثير خيال المتلقي، والذي ببذل جهد تأويلي يؤسس علاقة مع أصولها.

وعلى كل فالعبارة الاصطلاحية تميل إلى فرض نفسها في اللسان استدلاليا بهدف البقاء حية أكبر زمن ممكن:"[...] ففي طبيعة العبارة الاصطلاحية نستخلص مثيراتها، لأن كلماتها المكونة لها أو المشكلة لها تحتفظ ببعض الاستقلالية وتواصل استحضار الصور الخاصة بها."[10]

ومع هذه الكلية الفطرية في استكشاف المعنى، يميل الكائن الإنساني دائما إلى البحث عن معنى الكلمات التي تؤلف العبارة الاصطلاحوية من القواميس وهذا إلى غاية حصوله على الدلالة التي تخفي هذه العبارة الاصطلاحية، وإن ابن اللغة بمقدار ما يحاول تفسيرها بطريقته فهو كاشفا على أية أمارة في هذه السلسلة المتكلسة والتي تكون قادرة على مساعدته في بناء المعنى.

والمسار الأكيد هو هذا البحث الاشتقاقي للمعنى أو للمثير الأساس التي تتكئ عليه العبارة، غير أن هناك مشكلا ينشأ عن ذلك، وهو أن هذا الذي يُفقد المثيرات هو الذي يُشوّه المستدعيات الناتجة عن التصادمات اللسانية.

في الواقع أن الغالبية هي العبارات التي تملك تأويلات خاطئة، ومن ثمة فهي التي تؤثر على نشوء صورة بالنظر إلى المعنى وشكله المناسب.

يعطينا (*Pierre Guiraud*) في كتابه حول ( العبارات الاصطلاحية) جردا لمختلف العوامل التي تتداخل في ميلاد هذه المستدعيات المشوّهة والتي نذكر منها:

**3-1- شبه المستدعيات:**

"يتأسس شبه المستدعي على ربك جناسي، وفي بعض الأحيان بخلط المعنى القديم بالمعنى المعاصر للكلمة"[11]، ومنها:

- الخلط الآخر الذي يمس المعنى الجنيس والمعنى الخاص( من ناحية اللهجة، والتقنية والعامية ...وغيرها).
- خلطها بالمهجورات (*Les archaismes*) أو المصدر الرئيسي للمثيرات المشوّهة[12].
- خلطها بالكلمات الهامشية:وفي هذه النقطة نوضح التداخل في المعنى بين متجانسين أولهما آت من اللسان المشترك والآخر يبعث على شكل لهجي أو تقني أو عامي.

**3-2- تقاطع الأشكال:**

نتكلم عن تقاطع الشكل عندما تتداخل كلمتين من شكل متقارب وغير متطابق في المعنى، ومنه نستعمل واحد منها مكان الآخر، وفي بعض الحالات يتولد شكل تعبيري ثالث غير شرعي من هذا التقاطع، ومثالها المتضاد والمتقارب من اللفظ.

**3-3- تلوثات المعنى:**

إلى حد هذه النقطة تحدثنا عن تداخل الأشكال والمعاني دون التي لا تتغير فيها القيمة الدلالية للعبارة المتكلسة، وقلنا إن بعض العبارات تخضع لتطور في المعنى الذي ينتهي بتغير ملحوظ في قيمته الاستعارية، وهذا ما يطلق عليه(*Pierre Guiraud*) بـ:( تلوث المعنى).

**4- بعض الملحوظات الاصطلاحية:**

لا يمكننا في هذا العمل الذي يبحث العبارات الاصطلاحية أن نتعدى هذه الظاهرة المهمة التي سكت عنها النحويون أو إنهم عالجوها سطحيا بسبب حجمها.

هذه الظاهرة التي تولى أهمية بالغة في اللغات الطبيعية هي ما يصطلح عليه بالتكلس: (***Le figement***) ، فمنذ أمد طويل ظل هذا الفعل اللساني هامشيا وظلت كذلك بحوث العلماء مفتقدة له ولأهميته.

في الواقع أن التكلس يكون مختزلا من طرف الاستقبال الكلامي المبسط إلى:"أن الكلمات المركبة هي التي تتسم بالاتحاد والأخرى يُغمض في تمثلاتها الكاريكاتيرية الفعل اللساني للتكلس من طريق طوائف غامضة ومتنوعة جدا من شكل التي يكون فيها حضور الطبقات التعريفية غالبا غير متطابق"[13].

إن البدايات الأولى لإشكالية المصطلح آتية من ميدان التكلس نفسه، حيث التعريفات متباينة ومتباعدة عن بعضها البعض بشكل صارم، وهذا ما أطلق عليه (*Gross*) (1996) بالتمويه الاصطلاحي.

وهناك ملاحظة تفترض أن أي قراءة لمؤلف يعالج هذه القضية اللسانية يلحظ أن هناك صفحات تُخصص للحديث عن الوضع الاصطلاحي، بل إن منها ما يذهب إلى حد نقد ومعالجة التعريفات المتناقضة الموجودة في المراجع.

ولهذا سنرسو في هذا المستوى من التحليل عند المسار الأكيد والأوحد الذي يثبت مصطلحية أكثر دقة ويُبعد كل التداخلات الممكنة:

- الاصطلاحوية (***L'idiotisme***):"هي السلسلة التي لا يمكن أن نترجمها مصطلحا مصطلحا للسان آخر"[14].
- التعبير الاصطلاحي أو العبارة الاصطلاحية (***Le locution***): هي متتالية متكلسة التي لا تترجم مصطلحا مصطلحا للسان آخر حيث المعنى يكون غير مركبا(المعنى الإجمالي للمركبات لا يمنحنا معنى العبارة).
- التعبير الاصطلاحي اللفظي أو العبارة الاصطلاحية اللفظية: هي تعبير اصطلاحي أساسه لفظي، مقابل تعبيرات اصطلاحية اسمية التي أساسها اسم، مثل ما يطلق في التعبير:"لغة الخشب".0

**ثانيا: النمطية:**

**1- مفهوم النمطية:**

حسب *Sauvageot* عن *Gaatone* (1984):"لاشيء يكون زائفا أبدا من اعتقاد كوننا بغير حرية، فساحة الآلية في العبارات اللسانية ضخمة"[15].

هل نحتفظ في الحقيقة بالتعبير الحر في المطلق؟ أو قل هل نحن في الحقيقة أحرار في الاعتقادات التي يحملها كلامنا في عملية الاتصال؟ وهو ما أكده بحق *Sauvageot* ، فحريتنا في التعبير هي موجهة ومحدودة بالنظر إلى الآلية.

فماذا يقصد بالآلية؟ عرفها *Schapira Charlotte* حينما تطرق إليها على أن :" العطالة هي في الواقع الجمود الفكري الذي يدفعنا أن نفترض من غير تفطن للأفكار جميعها بفعل امتلاكنا لها خلال لحظة ما في مجتمع ما. فالصور من أنواع ما أشرنا إليه ترسم معانينا وانطباعاتنا وأحاسيسنا والتي بالفعل نفسه الذي يقع على الأنماط موقفة لكوننا[...]وللآليات.لأننا حقا ننطقها دون أن نفكر فيها، فاللسان يلتقطها دفعة واحدة، ونعطيها بالمثل مع بقاياها المعجمية وبأنماطها كذلك، لأنها تؤلف أنماط الفكر وأنماط الأسلوب وأنماط المعجم الذي- بوعي منا أو دون ذلك وبدهاء- تُشكّل سلوكنا العقلي وتُشكّل استعمالنا للسان"[16].

**وماذا نقصد بالنمطية؟**

**1-1- لمحة تاريخية عن تعريف النمطية (*Stéréotypée*):**

يعرّف قاموس (*Larousse*) (1875) النمطية مثل:"مطبوعة بلوحات التي تكون أنماطها متحركة ونحتفظ بها لمطبوعات جديدة"[17].

وإلى غاية القرن 19 ظل مصطلح النمطية وفيّا لأصوله الاشتقاقية الدلالية.

يشير مصطلح النمطية من خلال فعل"نمط" إلى مصطلح يفيض على أصوله الاشتقاقية، ويتطلب معنًا صوريا يشير إلى فكرة" الثبات".[18]

وهكذا ظهرت فكرة الثبات التي تعين في التعبير، ومثالها الجمل النمطية التي تفترض إحساسا ساذجا مبسطا (*Péjorative*) يلازم مصطلح الثبات.

استعمل الإشهاري الأمريكي (*Walter Lippmam*) (1946) مصطلح النمط(*stereotype*) في مؤلفه ( رأي شعبوي) (*Opinion publique*) في سنة 1922 لأول مرة، حيث نحس معنى نمط متكلس، وكوّن مركز اهتمام بالنسبة للعلوم الاجتماعية.

ولأننا اقترضنا مصطلح *Lippmam* للغة الجارية فللإشارة لـ:"...إن الصور في أدمغتنا هي التي تتوسط علاقتنا بالواقع، ونقصد كل تمثلات الأفعال، والمخططات الثقافية الموجودة من قبل، ولمساعدة من يريد توضيح الحقيقة الغامضة ، فحسب *Lippmam* تكون هذه الصور أساسية في الحياة داخل المجتمع، وهنا يبقى الفرد عائما في مدّ وجزر للمعنوية الخالصة، حيث يصبح بها قادرا على فهم الواقع وتصنيفه أو التحكم في الواقع بالنسبة له"[19]، وهكذا ركّز *Lippmam* على الفعل الذي تكون فيه الصور السابقة وثيقة الصلة بالخيال الذي يبن المخيلة الاجتماعية.

قدّم علم النفس الاجتماعي من خلال رحلته لمصطلح النمطية ، ولكن على عكس ما قدّمه *Lippmam*، ولقد أبان علماء النفس الاجتماعيون الأمريكيون الصفة المسذّجة والمضرة والمحطّة والمزدرية لهذا المصطلح الذي يأتي هكذا بإحساسه المشترك والأساسي . ومما أدى إلى المحاولات التعريفية التالية:" إنها اعتقادات تخص طبقات

الأفراد والمجموعات السابقة، ما يعني أنها لا تؤدي إلى تقدير جديد لكل ظاهرة ولكن إلى اعتياد الحكم والتوقعات الرتيبة[...]".

النمطية هي اعتقاد الذي لا يمنحنا أبدا الفرضية المؤكدة بالبراهين وإنما على الأرجح يعتبر –كليّا أو جزئيا– الفعل المنجز"[20].

وهي: "الكليشيهات والصور المستبقة والمتكلسة والملخصات والجزءات والأشياء والكائنات التي تجعل الفرد تحت طلاقة وسطه الاجتماعي( العائلي، والمحيط والدراسة والشغل ومن يخالطهم ووسائل الاتصال...وغير ذلك) والذي يحدد على الأقل الجزء الأكبر لأساليب تفكيرنا وإحساسنا وتعاملنا"[21].

وهي: " طريقة تفكيرنا كليشيهيا التي تحدد الأصناف الموصوفة ببساطة والتي ترتكز على الصور المختصرة من طريق ما نؤهل به الأشخاص الآخرين أو المجموعات الاجتماعية الأخرى للموضوعات السابقة الحكم"[22].

لقد شرع علماء النفس الاجتماعيون طيلة الخمسينيات في بحوث تُسائل الجانب المحطّ والمقلّص للنمطية، ولقد حاولوا تطوير هذه المعتقدات المشتركة– التي هي غالبا موجودة من قبل– داخل النمطية والتي تكون أساسية معرفيا وكذلك أساسية في فهم العالم، وهنا نذكر تعريف *(Leyens)* (1996) لها بأنها:"اعتقادات مشتركة تخص الخاصيات الشخصية للجماعة الإنسانية وسمات الشخصية عامة، وكذلك تمس في الغالب السلوكات"[23].

لا يمكننا فصل واحد عن الآخر، فالتساؤل عن القيمة والحط يتواجدان جنبا إلى جنب منذ الخمسينيات إلى غاية اليوم، ولم تحاول أبدا العلوم الإنسانية والاجتماعية النظر فيما تسمح به النمطية فـ:"تحليل علاقة الفرد مع غيره ومع نفسه أو العلاقات الموجودة بين الجماعات وأعضاءها من الأفراد كما أظهرها علماء آخرون وبخاصة علماء العلوم الإنسانية الذين رأوا أن النمطية تمثّل محطٍّ ومرتبط بكلمة"[24].

### 1–2– النمطية في اللسانيات:

لم تسلم علوم اللغة مثلها مثل العلوم الاجتماعية من مفهوم النمطية، فمنذ القرن العشرين، بدأ اللسانيون بالاهتمام بالظاهرة اللسانية المسماة بالنمطية، ونذكر أن هذا

الميدان بقي على أمد بعيد بلا عناية لسبب إهمال هذا الصنف اللساني-حسب الرؤى المحطة- لكلماته المؤلفة له.

لقد أعاد اللسانيون تقسيم الأنماط إلى صنفين: أنماط الفكر وأنماط اللسان.

**1-2-1- أنماط الفكر:**

وهي مجموعة الأفكار والإدانات والأحكام المسبقة والتي ترتكز في مجموعة ما حول رؤى العالم الذي يمس الكائنات البشرية(سلوكاتها) والحيوانات والخرافات والموضوعات وأشكال الحياة...وغيرها. فمثلا:

- في الثقافة الجزائرية يعتقد الجزائريون أن نطق( خمسة في عينيك) تبعد الإصابة بالعين.
- وفي الثقافة الغربية يعتقد الأوربيون أنهم عندما يُذكر المرض يلمسون الخشب اعتقادا منهم أن ذلك دافع للمرض.

وهنا نشير أن هذه الأنماط تشكل جزءًا من التراث الثقافي لأي مجموعة بشرية، والتي تُكتسب فيها النمطية الثقافية التي تدلل عليها في مجتمع ما دون غيره.

**1-2-2- أنماط اللسان:**

تولد بعض المعتقدات السوسيوثقافية الأنماط اللسانية، فمثلا أن المشهور عند سكان بولونيا الشُرب، ومن ثمة ولّدت هذه النمطية الفكرية التعبير النمطي التالي : سكران مثل البولوني.

يُعرف *Schapira Charlotte* الأنماط اللسانية بأنها:"تعبيرات متكلسة آتية من تجمع كلمتين أو أكثر تجمعا التحاميا كليّا في التراكيب، أو حتى في الجمل نفسها[...]، وجل أنماط اللسان(خاصة تلك البنى التركيبية والجملية) تخفي أو تبين بوضوح أنماط الفكر"[25].

فكرة الثبات في الأنماط اللسانية تمس الاعتقاد أو الفكر الاستباقي أيضا والذي تتمثل فيه العبارة(الجملة) اللسان، ومن ثمة تؤدي فكرة الثبات هذه إلى ما يُسمى بالتكلس اللساني.

## 2- الاعتقادات السوسيوثقافية في اللسان:

فكرة الاعتقاد السوسيوثقافي مرتبطة ارتباطا وثيقا باللسان وبمقياس ما تكون فيه هذه الأخيرة منظمة لثقافة اللسان. ويصبح اللسان بهذا المفهوم المجال الأثري الذي يفيض بعلاقات مجيزة لفحص الثقافة والاعتقادات السوسيوثقافية والخرافات وكذلك بالنسبة لمفهوم العالم عند المتكلمين في مجتمع ما.

تُستحضر هذه المعتقدات السوسيوثقافية- التي تتقاسم مختلف الوضعيات الحضارية أولا- في العديد من الأشكال اللسانية، فتظهر في مختلف الأشكال الأدبية( الركيكة أو الشعرية)، وهي غالبا ما تكون مُسيّرة من طريق العبارات النمطية، ومثاله:

- المَثَلُ:" "فالمثل هو إحدى هذه المُحافظات الثابتة للحضارة الإنسانية، فنجده في كل الثقافات والأكثر تنوعا دائما"[26].
- التعبيرات الاصطلاحية:"التعبيرات الاصطلاحية بمقدار ما كانت موضوع دراسة التكلس والتجمّل كانت مستحضرا وعائيا متميزا للاعتقادات المشتركة"[27].

**خاتمة:**

وهكذا نعتبر التعبيرات الاصطلاحية والأنماط شاهدا أساسيا لدراسة الاعتقادات السوسيوثقافية الشاملة والمحلية، وحاولت أن تجيب على إشكالية التي مؤداها أن الثقافات تصنع بحق ألسنة الشعوب المختلفة، كما أن هذه البقايا الثقافية التي نستجليها من اللسان تسمح لنا من زاوية التحليل اللساني بتحديد وجه تصور الشعوب للواقع،"فالثقافة هي التي تبقى بمقدار ما نتبناها"[28].

**الهوامش :**

1. *Guiraud Pierre: Les locutions françaises; Que sais-je?,1975;p.14.*
2. *Dubois Jean,Mathée Giacomo,Louis Guespin, Christiane Marcellesi, Jeans Pierre Mevel: Dictionnaire de linguistique, Larousse, 2001, p202.*
3. *Schapira Charlotte: Les stéréotypes en français: proverbes et autres formules. Ophrys.1999,p12.*

4. العبارة المشار إليها في هذا النمط هي صنف المركبات حسب C. Schapira وغير العبارات التركيبية.
5. Ibid, p16.
6. Ibid,p26.
7. Greimas Algirdas Julien: Idiotismes, proverbes, dictons. Cahiers de lexicologie, les idiotismes, 1960.p41.
8. Ibid,p42.
9. Guiraud Pierre; Les locutions françaises – Que sais-je;1973;p05.
10. Ibid,07.
11. Ibid. p,70.
12. Ibid. P.71.
13. Gross Gaston; les expressions figées en français ,noms composés et autre locutions. Ophrys.1996.p.01.
14. Ibid.p.06.
15. Gaatone David. La locution ou le poids de la diachronie dans la synchronie, le moyen français. Montréal. CERES. 1984.P.70.
16. Schapira Charlotte: Les stéréotypes en français: proverbes et autres formules. Ophrys.1999,p01
17. Definition du Dictionnaire Larousse (1875)- citée par Ruth Amossy; Herschberg Pierrot Anne – Stéréotypes et clichés – Armand Colin. 2005. P25.
18. دون أي تعديل وتبقى دائما على صورتها الأصلية.
19. Amossy Ruth. Herschberg Pierrot Anne – Stéréotypes et clichés – Armand Colin. 2005. P26.
20. Johada Marie.- Stereotypes –A dictionary of the social sciences .Tavistock publications, London, 1964.p.964.
21. Morfaux Louis Marie. – stéréotype-Vocabulaire de la philosophie et de sciences humaines. Colin.1980.p.34.
22. Fischer Gustave- Nicolas.- les concepts fondamentaux de la psychologie sociale-Dunod.1996.p.133.
23. Leyens Jean-Philipe, Y.Z.Erbyt Vincent ;Goerges Schadron:- Stéréotypes et cognition sociale- Mardaga. 1996.p.11.
24. Amossy Ruth. Herschberg Pierrot Anne – Stéréotypes et clichés – Armand Colin. 2005. P29.
25. Schapira Charlotte: Les stéréotypes en français: proverbes et autres formules. Ophrys.1999,p02.
26. Youssef Nacib.- Proverbes et dictons kabyles- Maison des livres . 2002.p.13.
27. Martin Robert(1987)Cité par Saleh Majri; article sur:- les stéréotypes du corps dans la phraséologie- approche contrastive. 2003.
28. G.Michaud cité par Youssef Nacib.- Proverbes et dictons kabyles- Maison des livres . 2002.p.15.